الآخر في شعر كثير عزة

م.د صبا عصام عبد الحسين
المديرية العامة لتربية بابل

The other in the poetry of Katheer Izzah

Ass. Les. Saba Essam Abdel Hussein
General Directorate of Education of Babylon
Ssaa95437@gmail.com

abstract ;

The research aims to study the concept of the other in the poetry of Katheer Izzah in light of the interrogation of the texts between the self and the other (i.e. the woman, the place, the informers) with consistent relationships, according to an analytical approach, the relationship with the other may vary because of distance and deprivation from the other as well as the relationship of the self with it. in the interpretation of the relationship of Katheer Izzah with the other, and track its aesthetic value. This study focuses on defining the poet and his relationship with the other represented by (the woman, the place, the informers.).

Keywords (Katheer Izzah, the other, the place, the woman, the informers)

ملخص البحث

يهدف البحث الى دراسة مفهوم الآخر في شعر كثير عزة واستنطاق النصوص بين الذات والآخر (المرأة ، المكان ، الوشاة) بعلاقات توافقية ، ولكن قد تتباين العلاقة مع الآخر نتيجة البعد والحرمان بينهما وفق منهج تحليلي ، في تفسير علاقة كثير عزة بالآخر ، وتتبع قيمته الجمالية ، تركز هذه الدراسة على التعريف بالشاعر وعلاقته بالآخر المتمثلة في (المرأة ، المكان، الوشاة) . الكلمات المفتاحية (كثير عزة– الآخر – المرأة ، المكان ، الوشاة) .

إن الشعر في جوهره بناء لغوي تتبع هذه القيمة من ذاته ، فصورة الآخر في شعر كثير بوابته الأولى اللغة ، فهي تتكلم وتفصح عن واقع الشاعر وما يختلج في ذاته من مشاعر واحاسيس[١] .

كثير عزة اسمه ((هو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن عويمر بن مخلد بن سعيد بن سبيع بن جعثمة ، ولد في بيسان وخيبر شمالي الحجاز سنة ٤٥هـ، ٦٦٥م، ومن أوصافه أنه كان قصير القامة ساذجاً محدود الثقافة[٢] .

علاقته بعزة:

لقد كانت لعزة مكانة في قلب الشاعر ، فهي كنانية النسب بنت حميل بن حفص ويكنيها كثير بشعره بام عمرو ويسميها الضمرية وابنة الضمري نسبة الى بني ضمرة وكانت عزة تتمتع بالجمال ويكثر من وصفها الشاعر في شعره بالنضج المبكر والتشهير بعزة مما جعل اهلها يتخذون موقفاً معيناً في تزويج عزة بأول خاطب يطرق بابهم [٣] .

مفهوم الآخر :

إن وجود الآخر قد اتخذ صوراً مختلفة في حياة الشاعر، فهو مرآة الأنا ، فالآخر في اللغة هو ((أحد الشيئين وهو اسم على أفعل والانثى اخرى إلا أن فيه معنى الصفة ، لأن افعل من كذا لا يكون الا في الصفة والآخر بمعنى غير كقولك : رجل آخر وثوب آخر ، وأصله افعل من التأخير فلما اجتمعت همزتان في حرف واحد استثقلتا فأبدلت الثانية ألفاً لسكونها وانفتاح الاولى قبلها))[٤] .

وفي المعجم الوسيط قد جاء معناه بأنه((أحد الشيئين ويكونان من جنس واحد))[٥].

أما في الاصطلاح :

إن ((الخطاب حول الآخر هو أساساً خطاب حول الاختلاف فان التساؤل فيه ضروري حول الأنا أيضاً ، ذلك أن هذا الخطاب لايقيم علاقة بين حدين متقابلين ، وانما علاقة بين آخر وأنا متكلمة عن هذا الآخر))[٦] .

أو يكون الآخر ((عبارة عن مقوم جوهري من مقومات الذات من حيث أنها لا تكون كذلك الا من خلال الآخر ولا نتعرف عن ذاتها الا عبر الآخر))[٧] .

الآخر المرأة : ←

إن جذوة الحب نراها متقدة في شعر كثير حيث يستشعر الجمال فـ((الاحساس بالجميل عند الأنسان من حاجة النفس البشرية الى ما يكمل نقصها ويثير سكونها ويغدو الموضوع جميلاً تبعاً لقدرته على اثارة حس من الاشباع والارتياح ، وتعويض الفقد الكامن في الذات الانسانية ، ففقي الحس الجمالي تكون المعادلة بين طرفين اساسين هما الذات الحساسة وموضوع الاحساس لديها))[٨]

يقول كثير عزة :

فما روضةٌ بالحزنِ طيبة الثرى ... يُمجُّ الندى جثجاثها وعرارها
بمُنخرِق من بطنِ وادٍ كأنما ... تلاقت به عطارة وتجارُها
أفيد عليها المسك حتى كأنها ... لطيمة داري تفتق فارها
بأطيب من أردانِ عزة موهناً ... وقد أوقدت بالمندلِ الرطبِ نارها[9]

نلاحظ في هذا النص امتزاج الطبيعة مع جمال المرأة المتمثلة في خيال الشاعر المكتنز بالأسلوب التشبيهي في ضوء عقد مقارنة بين الروضة الغناء ورائحة عزة التي تعطر المكان برائحتها اللطيفة ، فالشاعر هنا توافق مع الآخر الطبيعة ، ليفصح عن اشراقة الجمال الانثوي لأنه ((نور يشرق في النفوس فيحييها بازهار خفية تتفتح في الضمائر ، أجمل وأبهج وأحب الى الانسان من تلك الازهار التي تتفتح في الرياض وتمد العكوب بخصب اعنى وأوفر من ذلك الخصب الذي ينبعث من الشجر ويذكر فيه التمر)) [١٠] .

ويقول أيضاً:

واني وتهيامي بعزَّة بعدما ... تخليت مما بيننا وتخلت
لكالمُرتجي ظلَّ الغمامةُ كلما ... تبوّأ منها للمقيل اضمحلت
كأني وإياها سحابةُ ممُحِل ... رجاها فلما جاوزته استهلت[11]

إن اللحظات التي يصطنعها الشاعر في مخيلته قد أعطت تمازج جمالي وحركة تشع بالبهجة وجمال الخيال ، فجمال الطبيعة ورموزها قد تمثلت في صورة المرأة وتضخيم التشبيهات في ضوء منظومة العلاقات التي ينسجها الشاعر بمساعدة لغة الخيال ، فهو كالذي يجلس تحت ظل الغمامة فلا ينتفع بها[١٢] ، فانقطاع الوصل مع عزة يجعله يتنفس عن هذه المعاناة في ضوء استدعاء رموز الطبيعة والتعويض عن حالة الفقدان .

المكان :

إن الارتباط بالمكان يُعد أحد المؤثرات النفسية في تحريك ذات الشاعر في علاقة قد تتوافق أو تتباين مع الآخر المكان فهو ((الاطار الذي تقع فيه الاحداث))[١٣] ، فالشاعر عند وصفه لمكان الآخر قد يتخذ انماطاً مختلفة فبين المكان الأليف والمعادي تتحرك ذاته فـ((اذا كان اسم المكان يصاغ للدلالة على مكان وقوع الحدث الذي يعبر عنه الفعل لذلك عادة يجيء بعد الفعل بالترتيب))[١٤] .

وعلاقة كثير عزة بالمكان قد تتباين بغياب الحبيبة وتتوافق بوجودها او تذكرها فـ((تنجم هذه الألفة عن البشر الذين يقنطون المكان ، حتى اذا ماخلا هذا المكان منهم ، فقد ألفته ، بل أصبح هذا المكان معادياً لا أليفاً))[١٥] .

يقول كثير عزة :

خـلـيـلـيَّ هـذا ربـعُ عـزَّةَ فـاعـقـلا قلوصـيكما ثمَّ أبكيا حيث حلت
ومُسـا تـرابـاً كـان قـد مـسَّ جـلِـدها وبـيـتـاً وظـلاً حـيـثُ بـاتـت وظـلـت
ولا تـيـأسـا أن يـمـحـو الله عـنـكـمـا ذنـوبـاً اذا صـلَّيتما حيثُ صـلـت
ومـا كـنـت أدري قـبـل عـزة مـا الـبُـكـا ولا مـوجـعـاتِ الـقـلـبِ حـتـى تـولـت[16]

نلاحظ في هذا النص ذاتاً متكلمة بأسـلوب الحوار مع الآخر خليلي الذي أرتكز على ثنائية (الأنا – ألانت) لتفصح عن مدى المعاناة في رحيل الآخر عزة ، فالمكان حاضر عند لحظة الاستذكار التي تقف عندها ذات الشاعر وهو يعود بشريط ذكرياته الى مكان وجود عزة ، ولكنه سرعان ما يجعل القارئ يتأثر بلحظة الغياب التي تنامت في النص من خلال اسم الاشارة (هذا) ، فيسرد لنا المفردات المشحونة بالحزن بقوة ارتباطه بالآخر(عزة) فلم يعرف البكاء الا بعد أن غادرت عزة المكان فـ((تتنوع القيم العلاماتية للبكاء ، فهو تارة علامة للفراق واخرى لليأس أو استعادة للذكريات أو تذكر الأحبة أو الموت والارتحال ، أو الضياع والمأساة وفي ذلك كثير))[١٧] .

ويقول أيضاً:

لـعـزَّةَ أطـلالٌ أبـت أن تـكـلـمـا تـهـيـجُ مـغـانـيـهـا الـطـروب الـمُـتـيـمـا
كـأن الـريـاح الـذاريـات عشـيـةً بـأطلالـهـا ينْسـجن ريطـاً مُسـهـمـا[18]

نلاحظ أن الشاعر في هذه الأبيات قد أرتكز على الآخر (عزة – المكان) ، ليترجم معاناته النفسية تجاه البعد عن الآخر ، المكان والوقوف على الاطلال التي تمثل ((قناعاً فنياً يسقط الشاعر عليها جملة احاسيسه ، ويتخذها ستاراً لمواضيعه))[١٩] .

إن النص يصـور لنا حالة الشـاعر وهو يسـتنطق اطلال حبيبته وهي صـامتة خالية من الحركة الا حركة الرياح ، فاسـترجاع الماضـي والوقوف على اطلال الآخر ، وهو يعيش حالة الاغتراب من المكان كان في الأمس مصـدراً للحياة بوجود الآخر واليوم تغيرت صورة المكان ، ليكون متبايناً ومعادياً لذات الشاعر فـ((البنية المكانية في النص الشعري تمثل جزءاً مهماً من صـورة الواقع الفني في النص ، اذ انها تحدد العلاقات بين النص الشـعري والواقع المحيط به وبذلك تخلق جمالية مميزة للعمل الأدبي))[٢٠] .

الوشاة :

إن الوشـاية قد تباينت مع ذات الشـاعر فأخذ كثير عزة يسـرد في نصـوصـه الشـعرية علاقته بالآخر عزة وما يعترضـه من وجود الوشاة فهو ((لازمة من لوازم السرد القصصي الذي أنطبع به شعر الغزليين وشكل جزءاً من الحوار الذي أنطبع به شعرهم))[٢١] .

قال كثير عزة :

فـلا يحسـب الـواشـون أن صـبـابـتـي بـعـزَّةَ كـانـت غـمـرة فـتـجـلّـت
فـأصـبـحـتُ قـد أبـلـلـت مـن دنفٍ بـهـا كـمـا أُدنـفـت هـيـمـاءُ ثـم اسـتـبلّـت
فـو الله ثـم الله لا حـلَّ بـعـدهـا ولا قـبـلـهـا مـن خُـلـة حـيـثُ حلّـت[22]

في أول كلمة استنطقها الشاعر ووقف عندها هي لفظة (الواشون) التي يدور حولها الحدث فوجود الواشي قد تباين مع الذات ذات الشاعر في صراع تبرز جماليته حين يصف حبه لعزة فمهما بعدت يزداد عشقه لها في كل لحظة بل ((يزداد جدة بتجدد الأيام ، ويتساوى بعين العاشق عسر الزمان ويسره ، مادامت نفس من يعشق بخير))[٢٣] .

ومـا مـر مـن يـوم عـلـيَّ كـيـومـهـا وأن عـظـمـت أيـام اخـرى وجـلـت

وحلت بأعلى شاهقٍ من فؤاده فلا القلب يسلاها ولا النفس ملت[24]

نلاحظ مدى قوة العلاقة التي تربطه بعزة ، فلا يستطيع القلب نسيانها ولا تمل النفس من ذكراها .

وقال ايضاً :

فأن جاءك الواشون عنّي بكذبة فروّها ولم يأتوا لها بحويل

فلا تعجلي يا ليل أن تتفهمي بنصح أتى الواشون أم بحبول [٢٥]

نتلمس في هذه الأبيات التباين مع الآخر (الواشي) الذي يختلق القصص والأكاذيب ، ليجعل المحبوبة التي أظهرها الشاعر باسم مستعار لغرض الحفاظ على علاقته بها فهو يطلب منها بلغة التأكيد بـ (أن) لا تستعجل بالحكم الا أن ترى الصواب بوجود الشاهد أو الدليل ويمضي في قوله :

فأن تبذلي لي منكِ يوماً مودَّةً فقد ما صنعت القرض عند بذول

وأن تبخلي يا ليل عني فإنني توكلُني نفسي بكل بخيلٍ[26]

يشخص النص العلاقة مع الآخر (الحبيبة / الوشاة) في صراع مع نفسه وهو يفصح عن تراتيل العشق وعدم الاستماع الى الواشي الذي غايته زرع التفرقة بين المحبين فالفراق كـ ((السهم الذي لا يعدل عن مقاتل العشاق من رمى به من المحبين أصاب ومن دعي به من المحبوبين أجاب ، وربما ولعت نفوس العشاق محاذرة وقوع الفراق))[٢٧] .

يستجلي الشاعر في نصوصه الشعرية حضور الحبيبة (عزة) في كل زمان ومكان ، وما وجود الآخر الواشي الا ليزداد الشاعر تمسكاً بحب الآخر (عزة) .

لقد أكثر الواشون فينا وفيكم ومال بنا الواشون كلَّ مميلِ

وما زلتُ من ليلى طرَّ شاربي الى اليوم كالمقصى بكلِّ سبيلِ[28]

تتجلى في هذا النص معاني الذم ، فترتبط كل كلمة بما يليها من المفردات التي تستنطق نظرته الى الآخر وعمله السلبي في تأويل الكلام ، فالشاعر يحن ويطرب الى كل طريق يوصله الى الحبيبة ، فهي تفصح عن اشراقة الحب عن طريق ثنائية (المهجو / الحبيبة) التي وظفها الشاعر باسلوب جمالي وشخصها في لفظة (الواشون) التي شحنت النص بقوة العلاقة مع الآخر (الحبيبة) ، وما تكنه الذات من احاسيس صادقة تتمركز في قلب الشاعر .

الخاتمة

١- لقد استنطق الشاعر النصوص في ضوء العلاقة مع الآخر فتارة نجده يتوافق مع الذات ويتباين معها تارة اخرى .

٢- ان وجود المرأة قد امتزج مع وجود الطبيعة حيث يستشعر الجمال الحسي في ضوء عقده مقارنة بين جمال الطبيعة وجمال المرأة .

٣- توافقت صورة الذات مع الآخر (المكان) فأصبح أليفاً ، نتيجة ارتباطه بالمكان وشعوره بالانتماء جاء من حب ساكنيه .

٤- تتباين الذات مع الآخر المكان عندما يصبح معادياً يخلو من ساكنيه ، فلا وجود للآخر غير الذكريات التي استرجعت حركة الآخر(الحبيبة) .

٥- ان تباين الذات مع الوشاة ، يكشف عن مدى قوة العلاقة التي تربطه مع الآخر (عزة) في ضوء الصراع مع الواشي الذي يختلق الاكاذيب ويزرع التفرقة بين المحبين .

الهوامش:

١- ينظر الهوية الأختلاف في المرأة والهامش ، محمد نور الدين أفاية ، افريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، د.ط، ١٩٨٨ : ٤٩.

٢-الاغاني ، أبو فرج الاصفهاني ،تح: علي مهنا ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط٢ ، ١٩٩٢ : ٩/ ٧ .

٣-ينظر خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، عبد القادر البغدادي ، تح : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٤ ، ١٩٩٧: ١٨/٢ .

٤-لسان العرب ، ابن منظور (ت١١هـ) ، طبعة مراجعة ومصححة بمعرفة نخبة من السادة والأساتذة المتخصصين ، دار الحديث ، القاهرة ، د.ط ، د.ت : ٩٤/١ : مادة (آخر)

٥-المعجم الوسيط ، قام باخراجه : ابراهيم مصطفى وآخرون ،دار الدعوة استانبول – تركيا د.ط ،١٩٨٩: ٨/١ مادة (آخر) .

٦-صورة الآخر ناظراً ومنظوراً اليه ، تحرير : الطاهر لبيب ، مركز دراسات الوحدة العربية، الجمعية العربية ، لعلم الاجتماع ، بيروت ،ط١ ،١٩٩٩: ٢١ .

٧-فلسفة المرأة ، د. محمود رجب ، دار المعارف ،القاهرة ، مصر ، ط١ ، ١٩٩٤: ٢٠٣.

٨-لغة الجسد في اشعار الصعاليك ، غيثاء قادرة ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠١: ٢٠٣- ٢١٤ .

٩-ديوان كثير عزة ، جمعه وشرحه ، د. احسان عباس ،نشر وتوزيع ، دار الثقافة ، بيروت – لبنان ، د.ط ، ١٩٧١: ٤٢٩- ٤٣٠ .

١٠-مراجعات في الادب والفنون ، عباس العقاد ، دار الكتاب العرب ، بيروت (١) لبنان ، ط١ ، ١٩٦٦: ٢٨.

١١-الديوان : ١٠٣ .

١٢-ينظر : المرأة في الشعر الأموي ، فاطمة تجور ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، د.ط ، ١٩٩٩: ٢٦٢، وينظر : شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب ، محمد محمد حسن شراب ، مؤسسة الرسالة، ط١ ، ٢٠٠٧ ، ١/ ٢١٦.

١٣- بناء الرواية ، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ ، سيزا قاسم ، دار التنوير للطباعة والنشر ، ط١، ١٩٨٥ : ٧٦ .

١٤- جماليات المكان ، لباستون باشلار ، دار الجاحظ للنشر ، بغداد ، ١٩٨٠ :١٧ .

١٥- البناء الفني للرواية العربية في العراق ، الوصف وبناء المكان ، د. شجاع مسلم العاني، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٠: ١٠٢ .

١٦- الديوان :٩٥ .

١٧- دلالات البكاء وموضوعاته في الشعر الأموي ، مجلة كلية الآداب ، جامعة كركوك ، ع٩٨ ، د.ت :٦.

١٨ – الديوان : ١٣١ .

١٩- خصوبة القصيدة الجاهلية ومعانيها المتجددة ، مجمد صادق حسن عبد الله ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د.ط ، ١٩٧٧: ١٩٣.

٢٠- المكان في شعر الشريف الرضي ، زينب عبد الكريم الخفاجي ، رسالة ماجستير ،كلية التربية ، بغداد ، ٢٠٠٢ : ٦٦ .

٢١- الوشاية في شعر القافي في العصر الأموي ، د. أيهم عباس القيسي ، مجلة اللغة العربية وآدابها ، جامعة الكوفة ، ع١ ، دار مطابع الاندلس ، النجف ، ٢٠٠١: ٤٢ .

٢٢- الديوان :١٠٢ .

٢٣- الرفض في الشعر العربي المعاصر ،د. عمر فاروق الطباع ، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر ، بيروت (١) لبنان ،ط١ ،٢٠٠٦ :١/٣٤٧ .

٢٤- الديوان ١٠٢ .

٢٥- الديوان : ١١١ .

٢٦- م.ن : ١١١.

٢٧- الزهرة ، محمد بن داود الاصبهاني ، ت٢٩٧، تح : د. ابراهيم السامرائي ، ط٢ ، مكتبة المنار ، الاردن ، ١٩٨٥ :١/ ٢٢٥ .

المصادر

- الاغاني ، أبو فرج الاصفهاني ،تح: علي مهنا ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط٢ ، ١٩٩٢ .
- بناء الرواية ، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ ، سيزا قاسم ، دار التنوير للطباعة والنشر ، ط١، ١٩٨٥.
- البناء الفني للرواية العربية في العراق ، الوصف وبناء المكان ، د. شجاع مسلم العاني، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٠ .
- جماليات المكان ، لباستون باشلار ، دار الجاحظ للنشر ، بغداد ، ١٩٨٠ .
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، عبد القادر البغدادي ، تح : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٤ ، ١٩٩٧ .
- خصوبة القصيدة الجاهلية ومعانيها المتجددة ، مجمد صادق حسن عبد الله ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د.ط ، ١٩٧٧: ١٩٣.
- ديوان كثير عزة ، جمعه وشرحه ، د. احسان عباس ،نشر وتوزيع ، دار الثقافة ، بيروت – لبنان ، د. ط ، ١٩٧١ .
- الرفض في الشعر العربي المعاصر ،د. عمر فاروق الطباع ، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ،ط١ ،٢٠٠٦ .
- الزهرة ، محمد بن داود الاصبهاني ، ت٢٩٧، تح : د. ابراهيم السامرائي ، ط٢ ، مكتبة المنار ، الاردن ، ١٩٨٥.
- شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب ، محمد محمد حسن شراب ، مؤسسة الرسالة، ط١ ، ٢٠٠٧ .
- صورة الآخر ناظراً ومنظوراً اليه ، تحرير : الطاهر لبيب ، مركز دراسات الوحدة العربية، الجمعية العربية ، لعلم الاجتماع ، بيروت ،ط١ ،١٩٩٩ .
- فلسفة المرأة ، د. محمود رجب ، دار المعارف ،القاهرة ، مصر ، ط١ ، ١٩٩٤ .
- لسان العرب ، ابن منظور (ت٧١١هـ) ، طبعة مراجعة ومصححة بمعرفة نخبة من السادة والأساتذة المتخصصين ، دار الحديث ، القاهرة ، د.ط ، د.ت .
- لغة الجسد في اشعار الصعاليك ، غيثاء قادرة ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠١٤

- المرأة في الشعر الأموي ، فاطمة تجور ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، د.ط، ١٩٩٩.
- مراجعات في الادب والفنون ، عباس العقاد ، دار الكتاب العرب ، بيروت –لبنان ، ط١، ١٩٦٦ .
- المعجم الوسيط ، قام باخراجه : ابراهيم مصطفى وآخرون ،دار الدعوة استانبول – تركيا د.ط ،١٩٨٩.
- الهوية الأختلاف في المرأة والهامش ، محمد نور الدين أفاية ، افريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، د.ط، ١٩٨٨ .

الرسائل الجامعية والأطاريح

- المكان في شعر الشريف الرضي ، زينب عبد الكريم الخفاجي ، رسالة ماجستير ، كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٢م .

المجلات

- دلالات البكاء وموضوعاته في الشعر الأموي ، أ.م.د. بدران عبد الحسين البياتي ، مجلة التربية الآداب ، ع٩٨, جامعة كركوك ، د.ت .
- الوشاية في شعر القافي في العصر الأموي ، د. أيهم عباس القيسي ، مجلة اللغة العربية وآدابها ، جامعة الكوفة ، ع١ ، دار مطابع الاندلس ، النجف ، ٢٠٠١.